

ندوات تلفزيونية - قناة اقرأ - الإسلام منهج حياة - الدرس (١٨-٣٠) : علاقة الإنسان بالشأن العام ٤ ، هل حالة الذل مستمرة وهل مد الطغاة إلى ما لا نهاية ؟
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٩-٠٩-٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في لقاء جديد في برنامج : "الإسلام منهج حياة" .
ضيفنا هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الداعية الإسلامي . حفظه الله . أهلاً بكم فضيلة الدكتور .
الدكتور راتب :
بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .
الأستاذ جميل :

تحدثنا عن الجهاد بأنواعه ، وتحدثنا عن النصر ، وأن عوامل النصر إيمان وإعداد ، انطلاقاً من الواقع الذي نعيش فيه ، وما فيه من إشكاليات ، فهل حالة الذل مستمرة وهل مد الطغاة إلى ما لا نهاية ؟.

لا يمكن لطاغية على وجه الأرض أن يكون طاغية إلا ويوظف الله طغيانه لخدمة دينه :

الدكتور راتب :
بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .
أستاذ جميل بادئ ذي بدء : لثلاث يصاب المسلمون وقد أصيبوا بحالة اسمها اليأس أو الإحباط ، أو ثقافة الطريق المسدود ، اليأس والإحباط ، وثقافة الطريق المسدود قد تجعلهم لا يصدقون أي نصر ، هذه حالة خطيرة جداً ، وأنا أقول دائماً : أخطر حالة أن يهزم الإنسان من داخله .
لذلك لثلاث يصاب المسلمون بالإحباط ، واليأس ، والسوداوية ، ولثلاث يقولوا قد انتهينا ، ولثلاث يقع المسلمون في حالة من الطريق المسدود ، هناك حقائق لابد من سردها :
أولاً : لا يمكن لطاغية على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة أن يسمح الله له أن يكون طاغية إلا ويوظف الله طغيانه لخدمة دينه والمؤمنين من دون أن يشعر ، ومن دون أن يريد ، وبلا أجر ، وبلا ثواب ، طالبني بالدليل ، لأنه لولا الدليل لقال من شاء ما شاء ، وأنا أتمنى من كل أخ كريم

مشاهد أن يتسلح بالمعرفة ، ألا يرفض شيئاً إلا بالدليل ، وألا يقبل شيئاً إلا بالدليل ، لأن " هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم " .

((ابن عمر دينك دينك ، إنما هو لحمك ودمك ، فانظر عمن تأخذ ، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا .))

[ابن عدي عن ابن عمر]

الدليل : أنه ما من طاغية إلا ويوظف الله طغيانه لخدمة دينه والمؤمنين ، لقول الله عز وجل :

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾

(سورة القصص الآية : ٤)

أي استخدم ورقة الفتن الطائفية ، وهذا شأن كل الطغاة ، وهي الورقة الراححة بأيديهم ، والمؤمنون لوعيمهم ، وفهمهم الدقيق والعميق ، وإخلاصهم ، يستطيعون إسقاط هذه الورقة .

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِعْ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

الفتن الطائفية ورقة راححة بأيدي الطغاة فعلينا إسقاطها و القضاء عليها :

الآن :

﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾

(سورة القصص)

إذاً الطاغية من دون أن يشعر ، ومن دون أن يريد ، طغيانه يدفع الناس إلى باب الله ، طغيانه يعمق فهم الناس لحق الله عليهم ، لأنها شدة وراءها شدة إلى الله ، لأنها محنة وراءها محنة من الله ، فالطغيان له وظيفة قد لا ننتبه إليها .

مثلاً : حرب غزة وحدتنا كمسلمين ، أثارت أعماق أعماقنا النبيلة ، ظهرت تضحيات تفوق حدّ الخيال ، حرب غزة محنة كبيرة ، لكن لها إيجابيات قد لا نعلمها إلا بعد حين ، هذه الحقيقة الأولى أن الطغيان يوظف .

الله عز وجل لا يسمح لجهة أن تتأله :

الشيء الثاني : لا شيء يستمر ، كيف أن كل إنسان له أجل ينتهي ، وسبحان من قهر عباده بالموت ، وأيضاً :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾

(سورة الأعراف الآية : ٣٤)

لا يوجد أمة تستطيع أن تستمر ، لأنه حينما تستمر في طغيانها كأن الله ألهمها ، لذلك الله عز وجل لا يسمح لجهة أن تتأله ، لذلك :

((الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في شيء منه أدخلته النار))

[أخرجه ابن ماجه وابن حبان عن عبد الله بن عباس]

إذا :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾

الشيء الآخر الدعوة مستمرة ، شيء لا يصدق .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ﴾

(سورة الأنفال الآية : ٣٦)

الطائلة ، المليارات ، يخططون ، يسهرون ، يخططون لإلغاء الإسلام ، والإسلام يزداد قوة ، الشيء العجيب أن الذي أراد إلغاء الدين هو غبي جداً ، وساذج جداً ، وما علم أن الطرف الآخر هو الله ، خالق السماوات والأرض ، لذلك قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾

﴿ يُغْلَبُونَ ﴾

(سورة الأنفال الآية : ٣٦)

الله جلّ جلاله ألزم ذاته العلية بهداية الخلق والهداية الإلهية لا يمكن أن تقف :

إذا الدعوة مستمرة ، بل إنني أرى لو أن أهل الأرض اجتمعوا على أن يفسدوا على الله هدايته لخلقه لا يستطيعون ، لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾

(سورة الليل)

وكلمة على إذا جاءت مع لفظ الجلالة يقول عنها العلماء : إن الله جلّ جلاله ألزم ذاته العلية بهداية الخلق ، فالهداية الإلهية لا يمكن أن تقف ، ولا يمكن أن يوقفها إنسان ، ولا يمكن أن يمنعها إنسان ، لأنه عندئذ يريد أن يطفى نور الله بضمه .

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾

(سورة التوبة الآية : ٣٢)

وهذا شيء مستحيل ، تصور إنساناً توجه إلى الشمس ونفخ عليها من أجل إطفائها، يكون أغبي الأغبياء ، والحق كالشمس ، فلذلك لا يستطيع إنسان أن يلغي هداية الله عز وجل ، لكنهم يهددون ، يتوعدون ، يخططون ، لكن بالنهاية لا ينتصرون ، هذا الدين له خاصة عجيبة ، أنه إذا دعمته يزداد قوة ، وإذا حاربته يزداد قوة ، يزداد قوة شئت أم أبيت ، يزداد قوة بدعمك له ، أو بمحاربتك إياه، بل إن الذي يحارب الدين كأنه يحاول إطفاء النار بالزيت ، شيء عجيب ! لأن الدين هواء ،

هذا الهواء لا يحتكر ، والدين عظمته أنه دين جماعي ، ودين فردي ، لو أن الجماعة أعرضت عنه كان ديناً فردياً ، بإمكانك أن تستقيم على أمر الله ، وأن تنتفع من كل خصائص الدين وحدك .

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾

(سورة العنكبوت الآية : ٦٩)

لا تستطيع جهة في الأرض مهما قويت أن تفسد على الله هدايته لخلقه :

إذاً هذا الدين لا يمكن أن يلغى ، والأقوياء فهموا هذه الحقيقة فماذا فعلوا ؟ أرادته تفجيره من الداخل ، إلغاء الدين مستحيل ، بقي أن يفجروه من الداخل عن طريق التشويه ، تشويه رجال الدين ، الصناعات أشخاص كرجال دين ، يرتكبون الأخطاء الفادحة من أجل تشويه سمعة الدين ، فهذه العملية اسمها التفجير من الداخل ، أو عن طريق الفتاوى التي تحل كل المعاصي ، أو عن التأويل السيئ للقرآن والسنة ، أو عن طريق إلغاء السنة أصلاً ، هناك دعوات هدفها تفرغ الدين من مضمونه ، فالدين دين الله لا يمكن أن يوقفه أحد ، لكنهم يحاولون .

بالمناسبة محاولات أعداء الدين لإلغاء الدين تجري لكنها لا تنجح ، أنا حينما أقول: إن الله حفظ كتابه من أن يزور ليس معنى هذا أنه لا تجري محاولة ، لكن المعنى الدقيق أن هذه المحاولات لا تنجح .

فذلك لا تستطيع جهة في الأرض مهما قويت أن تفسد على الله هدايته لخلقه

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾

(سورة النحل الآية : ٩)

من خطط لبني مجده على أنقاض الشعوب فنجاح خططه يتناقض مع عدل الله ووجوده :

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾

(سورة الأنفال الآية : ٢٣)

هذه نقطة دقيقة في الموضوع ، مثلاً ، هذه العصا الغليظة ، الغليظة جداً في المنطقة ، التي وضعت لتأديب أي دولة في الشرق الوسط هذه العصا الغليظة كُسرت مرتين إسرائيل كُسرت في عام ٢٠٠٦ ، ومرة في عام ٢٠٠٨ ، إذاً :

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سورة يوسف)

الشيء الآخر : هو أن جهة قوية جداً أرادت أو خططت لبناء مجدها على أنقاض الشعوب ، وبناء قوتها على إضعاف الشعوب ، وبناء غناهم على إفقار الشعوب ، وبناء عزها على إذلال الشعوب ، هذه الجهة القوية جداً العملاقة التي ليس فوقها إلا الله ، لا يمكن أن تنجح خطتها على المدى

البعيد ، الكلمة الدقيقة التي أوّمن بها بكل خلية في جسمي ، وبكل قطرة في دمي ، أن هذه الجهة القوية جداً ، العملاقة ، المتفوقة ، حينما تخطط أن تبني مجدها على أنقاض الشعوب نجاح خطتها على المدى البعيد لا يتناقض مع عدل الله فحسب بل مع وجوده ، أنا أطمئن أي إنسان الحال لا يستمر ، بل إن الخط البياني في طريقه إلى الهبوط ، والشيء ملاحظ ،

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

ولكن البطولة الكبرى ألا ينفرد الباطل بالساحة ، ولا نقلق على هذا الدين إنه دين الله ، بل ينبغي أن نقلق ما إذا سمح الله لنا أو لم يسمح أن نكون جنوداً له .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور ، وأحسن إليكم ، شكراً لكم أيها الأخوة على حسن المتابعة ، نترككم في أمان الله وحفظه .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين